

الى آخر السورة واستدل بذلك الامام على انه رضى الله تعالى عنه أفضل الأمة وذكر ان في الآيات ما يابى قول الشبهة أنها في على كرم الله تعالى وجهه وأطال الكلام في ذلك وأتى بما لا يخلو عن قيل وقال قوله تعالى ﴿وَأَسْوَفَ يَرْضَى﴾ جواب قسم مضمرة أى وبالله لسوف يرضى والضمير فيه للاتقى لمحدث عنه وهو وعد كريم ينيل جميع ما ينتهي على اكن الوجوه وأجلها اذبه يتحقق الرضا وجوز الامام كون الضمير للرب تعالى حيث قال بعد ان فسر الجملة على رجوعه للاتقى وفيه عندي وجه آخر وهو ان المراد انه ما أنفق الا لطلب رضوان الله تعالى وسوف يرضى الله تعالى عنه وهذا عندي أعظم من الاول لان رضا الله سبحانه عن عبده أكل للمبدمن رضاه عن ربه عز وجل وبالجملة فلا بد من حصول الامرين كما قال سبحانه راضية مرضية والظاهر هو الاول وقد قرئ وسوف يرضى بالبناء للمفعول من الارضاء وما أشار اليه في معنى راضية مرضية غير متعين كما سمعت وفي هذه الجملة كلام يعلم مما سيأتى قريبا ان شاء الله تعالى

سورة الضحى

مكية وآياتها احدى عشرة آية بلا خلاف ولما ذكر سبحانه فيما قبلها وسيجئها الاتقى وكان سيد الاتقين رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب سبحانه ذلك بذكر نعمه عز وجل عليه صلى الله تعالى عليه وسلم وقال الامام لما كانت الاولى سورة أبى بكر رضى الله تعالى عنه وهذه سورة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عقب جل وعلا بها ولم يجعل بينهما واسطة ليعلم أن لا واسطة بين رسوله صلى الله تعالى عليه وسلم والصدى رضى الله تعالى عنه وتقديم سورة الصديق على سوره عليه الصلاة والسلام لا يدل على أفضليته منه صلى الله تعالى عليه وسلم ألا ترى أنه تعالى أقسم أولا بشيء من مخلوقاته سبحانه ثم أقسم بنفسه عز وجل في عدة مواضع منها السورة السابقة على ما علمت والحمد قد تقدم بين يدي السادة وكثير من السنن أمر بتقديمه على فروض العبادة ولا يضر النور تأخره عن أغصانه ولا السنن كونه في أطراف مرانه ثم أن ما ذكره زهرة ربيع لا تتحمل الفرق كما لا يخفى

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * وَالضُّحَى﴾ تقدم الكلام فيه والمراد به هنا وقت ارتفاع الشمس الذى يلى وقت بروزها للناظرين دون ضوئها وارتفاعها لانه أنسب بما بعد وتخصيصه بالاقسام به لانه شباب النهار وقوله فيه قوة غير قريبة من ضدها ، ولذعد شرقا يومياً للشمس وسعدا ولانه على ما قالوا الساعة التى كلم الله تعالى فيها موسى عليه السلام والتي فيه السحرة سجدا لقوله تعالى وأن يحشر الناس ضحى فيه مناسبة للمقسم عليه وهو انه تعالى لم يترك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولم يفارقه الطافة تعالى وتكليمه سبحانه وقيل المراد به النهار كما في قوله تعالى أن يأتيهم باسنا ضحى واعترض بالمرق فانه وقع هناك في مقابلة الليات وهو مطابق الليل وهنا في مقابلة الليل مقيدا معنى باشتداد ظلمته فالمناسب أن يراد به وقت ارتفاعه وقوة اضاءته وأجيب بمنع دلالة القيد على الاشتداد وستسمع ان شاء الله تعالى ما في ذلك وأيا ما كان فالظاهر أن المراد الجنس أى وكنس الضحى ﴿وَاللَّيْلُ﴾ أى وكنس الليل ﴿إِذَا سَجَى﴾ أى سكن أهله على انه من السجو وهو السكون مطلقا كما قال غير واحد والاسناد مجازى أو هو على تقدير المضاف كما قيل ونحوه ما روى عن قتادة أى سكن الناس والاصوات فيه وهذا يكون في الغالب فيما بين طرفيه أو بعد مضي برهة من أوله أو ركذ ظلامه من سجا البحر سكنت أمواجه قال الاعشى

وما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمكم * وبحرك ساج لا يوارى الدعامة
فالسجوقيل على هذا في الاصل سكون الامواج ثم عم والمراد بسكون ظلامه عدم تغيره بالاستعداد والتزل أي فيما يحس
ويظهر وذلك اذا كحل حسا بوصول الشمس الى سمت القدم وقبيله وبعمده وصرح باعتبار الاشتداد ابن الاعرابي حيث
قال سجا الليل اشتد ظلامه وأخرج ابن المنذر وغيره عن ابن جبير أنه قال أي اذا أقبل فغطى كل شيء وأخرج ابن
جرير وابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس تفسير سجا باقبل بدون ذكر التغطية وأخرجها
وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أيضا أنه قال سجا اذا ذهب وكلا التفسيرين خلاف المشهور وشاع ليل ساكن
اوساج لما لا ريح فيه ووصفه بذلك أعنى السكون قيل على الحقيقة كما اذا قيل ليل لا ريح فيه ولا يقال
ان الساكن هو الريح بالحقيقة لان السكون عليها حقيقة محال لانه هوا متحرك ثم انهم يقولونه لما
لا ريح فيه لا لما سكن ريحه والتحقيق أن يقال ان السكون على تفسيره أعنى عدم الحركة عما من
شأنه الحركة أو كونين في حيز واحد لا يصح على الليل لانه زمان خاص لكن لما كان سكون الهواء بمنزلة
عدم له في العرف العامي لعدم الاحساس او لتضمنه عدم الريح لا الهواء قيل نيل ساج وساكن وصف الليل على
الحقيقة أي لا اسناد فيه الى غير ملائم على انه يحتمل ان يجعل السكون بهذا المعنى حقيقة عرفية وجوز حمل
ما في الآية على هذا الشائع ولعل التقييد بذلك لان الليل الذي لا ريح فيه أبعد عن الغوائل وقد ذكر بعض الفقهاء
ان الريح الشديدة ليلا عذر من أعدا الجماعة ونقل عن قتادة ومقاتل ان المراد بالضحي هو الضحي الذي كلم الله
تعالى فيه موسى عليه السلام وبالليل ليلة المعراج ومن الناس من فسر الضحي بوجهه صلى الله تعالى عليه
وسلم والليل بشعره عليه الصلاة والسلام كما ذكر الامام وقال لا استبعاد فيه وهو كما ترى ومثله ما قيل
الضحي ذكور أهل بيته عليه الصلاة والسلام انهم وقال الامام يحتمل أن يقال الضحي رسالته صلى الله
تعالى عليه وسلم والليل زمان احتباس الوحي فيه لان في حال النزول حصل الاستثناس وفي زمان الاحتباس
حصل الاستيحاش أو الضحي نور علمه تعالى الذي يعرف المستور من الغيوب والليل عفوه تعالى الذي به
يستر جميع الغيوب أو الضحي اقبال الاسلام بعد ان كان غريبا والليل اشارة الى أنه سيعود غريبا أو
الضحي كمال العقل والليل حال الموت أو الضحي علانيته عليه الصلاة والسلام التي لا يرى الخلق عليها
عيبا والليل سره صلى الله تعالى عليه وسلم لا يعلم عالم الغيب عليها عينا انتهى ولا يخفى أنه ليس من التفسير في شيء
وباب التأويل والاشارة يدخل فيه أكثر من ذلك وتقديم الضحي على الليل بناء على ما قلنا والارعاية شرفه
لما فيه من ظهور زيادة النور وللنور شرف ذاتي على الظلمة لكونه وجوديا أو لكثرة منافعه أو لمناسبته لعالم
الملائكة فانها نورانية وتقديم الليل في السورة السابقة لما فيه من الظلمة التي هي لعمري أصل للنور والحادث
بازاتها لاسباب حادثه وقيل تقديمه هناك لان السورة في أبي بكر وهو قد سبقه كفر وتقديم الضحي هنا
لان السورة في رسول الله عليه الصلاة والسلام وهو صلى الله تعالى عليه وسلم لم يسبقه ذلك وتخصيصه
تعالى الوقتين بالاقسام قيل لبشير سبحانه بحالهما الى حال ما وقع له عليه الصلاة والسلام ويؤيد عز وجل
نفي ما توهم فيه فكأنه تعالى يقول الزمان ساعة فساعة ساعة ليل وساعة نهار ثم تارة ترداد ساعات الليل
وتنقص ساعات النهار وأخرى بالعكس فلا الزيادة لهوى ولا النقصان لقل بل كل الحكمة وكذا أمر الوحي
مرة اترال وأخرى حبس فلا كان الازال عن هوى ولا الحبس عن قلى بل كل الحكمة وقيل ليسلى عز وجل
بحالهما حبيبه عليه الصلاة والسلام كأنه سبحانه يقول انظر الى هذين المتجاورين لا يسلم أحدهما من الآخر
بل الليل يغلب تارة والنهار أخرى فكيف تطمع أن تسلم من الخلق والقولان مبيان على أن المراد بالضحي

النهار كله وبالليل اذا سجد جمع الليل وتخصيص الضحى على ما سمعت او لا ما سمعت وتخصيص الليل بناء على أن المراد وقت اشتداد الظلمة قيل لانه وقت خلو المحب بالمحروب والامن من كل واش ورقيب وقال الطيبي طيب الله تعالى ثراه في ذلك أنه تعالى أقسم له صلى الله تعالى عليه وسلم بوقتین فيهما صلواته عليه الصلاة والسلام التي جمعت قرة عينه وسبب مزبذ قربه وأنسه أما الضحى فلما رواه الدار قطنی في المجتبی عن ابن عباس مرفوعا كتب على النحر ولم يكتب عليكم وأمرت بصلاة الضحى ولم تؤمروا بها وأما الليل فلعله تعالى ومن الليل فتعجد به نافلة لك ارغاما لاعدائه وتكذيبا لهم في زعم قلاه وجفائه فكأنه قيل وحق قربك لدينا وزلفاك عندنا انا اصطفيناك وما هي ناك وقليناك فهو وكقوله **﴿ وئنا ياك انها اغريض ﴾** وهو مما تستطيه أهل الاذواق ويمكن أن يكون الاقسام بالليل على ما نقل عن قتادة من باب وئنا ياك ايضا وكذا الاقسام بهما على بعض الواجه المارة كما لا يخفى وعلى كون المراد بالضحى الوقت المعروف من النهار وبالليل جميعه قيل ان التفرقة الاشارة الى ان ساعة من النهار توازي جميع الليل كما ان النبي عليه الصلاة والسلام يوازي جميع الانبياء عليهم السلام والاشارة لكون النهار وقت السرور والليل وقت الوحشة والغم الى أن هموم الدنيا وغمومها أدوم من سرورها وقد روى أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت عن يساره غمامة فنادت ماذا أمطر فأمرت أن تمطر الغموم والاحزان فأمطرت مائة سنة ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا الى آتمام ثلثمائة سنة ثم أظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء فنادت ماذا أمطر فأمرت أن تمطر السرور ساعة فلذا ترى الغموم والاحزان أدوم من المسار في الدنيا والله تعالى أعلم بصحة الخبر وقيل غير ذلك وقوله تعالى **﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾** الجواب القسم وودع من التوديع وهو في الاصل من الدعة وهو أن تدعو للمسافر بان يدفع الله تعالى عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة وخفض العيش كما أن التسليم دعاه له بالسلامة ثم صار متعارفا في تشييع المسافر وتركه ثم استعمل في الترك مطلقا وفسر به هنا أى ما ترك ربك وفي البحر والكشاف التوديع مبالغة في الودع أى الترك لان من ودعك مفارقا فقد بالغ في تركك قيل وعليه يلزم أن يكون المنفى الترك المبالغ فيه دون أصل الترك مع أن الظاهر نفي ذلك فلا بد من أن يقال انه انما نفي ذلك لانه الواقع في كلام المشركين الذى تزلت له الآية أو أن المبالغة تعود على النفي فيكون المراد المبالغة في انفى لانفى المبالغة وقد ذكروا نظير هذين الوجهين في قوله تعالى وما ربك بظلام تاميد فتدبر وقيل ان المنى ما قطعك قطع المودع على أن التوديع مستعار استعارة تسمية للترك وفيه من اللطف والتعظيم مالا يخفى فان الوداع انما يكون بين الاحباب ومن تذر مفارقتك كما قال المتنبي

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم أدر أى الظاعنين أشيع

وحقيقة التوديع المتعارف غير متصورة ههنا وتعقب بانه على هذا لا يكون رد الما قاله المشركون لانهم لم يقولوا ودعه ربه على هذا المنى كيف وهم بمعزل عن اعتقاد كونه عليه الصلاة والسلام بالمحل الذى هو صلى الله تعالى عليه وسلم فيه من ربه سبحانه وقيل في الجواب انه يجوز أن يدل ودعه ربه على ذلك لانهم قائلهم الله تعالى قالو على سبيل انتمكم والسخرية وحين رد عليهم فصدما يشعربه اللفظ على التحقيق وقيل ان الترك مطلق في كلامهم والظاهر من حالهم أنهم لم يريدوا المساهية من حيث هي ولا من حيث تحققها في ضمن مالا يخفى بشريف مقامه عليه الصلاة والسلام بل المساهية من حيث تحققها في ضمن ما يخفى بذلك ولما كان المقصود ائناسه صلى الله تعالى عليه وسلم وازالة وحشته عليه الصلاة والسلام جيء بما يتضمن نفي ما زعموه على أبلغ وجه كانه قيل ان هذا

النوع الغير المحل بمقامك من الترك لم يكن فضلا عما زعموه من الترك المحل بعزير مقامك وعندى أن الظاهر ان ذلك انقول باى معنى كان صادر على سبيل التهمك اذا كان المراد بالرب هو الله عز وجل وكان القائل من المشركين كما لا يخفى على المتأمل وقرأ عروة بن الزبير وابنه هشام وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبى عتبة ما ودعك بالتخفيف وهي على ما قال ابن جنى قراءة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وخرجت على ان ودع مخفف ودع ومعناه معناه قال في القاموس ودعه كوضعه وودع بمنى وقيل ليس بمخففة بل هو فعل برأسه بمعنى ترك وانه يمكر على قول النحاة أماتت العرب ماضى يدع ويذر ومصدرها واسم فاعلها واسم مفعولها واستغنوا بما ليرك من ذلك وفي المغرب ان النحاة زعموا ان العرب أماتت ذلك والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم أفصحهم وقد قال عليه الصلاة والسلام ليتبين أقوام عن ودعهم الجماعات وقرأ ما ودعك وقال أبو الأسود

ليت شعرى عن خليلي ما الذى ☆ غاله في الحب حتى ودعسه

ومثله قول آخر وثم ودعنا آل عمرو وعامر ☆ فرائس أطراف المتففة السمر

وهو دليل أيضاً على استعمال ودع وهو بمعنى ترك المتعلق بمفعولين فلا تفعل وفي الحديث اتركوا الترك ما تركوكم ودعوا الحبشة ما ودعوكم وفي المستوفي أن كل ذلك قد ورد في كلام العرب ولا عبرة بكلام النحاة واذا جاء نهر الله بطل نهر معقل نعم وروده نادر وقال الطيبي بصد أن ذكر وروده نظماً ونثراً إنما حسن هذه القراءة الموافقة بين الكلمتين يعنى هذه وما بعدها كما في حديث الترك والحبشة لان رد العجز على الصدر وصنعة التصريح قد جبراً منه وقيل ان القائلين إنما قالوا ودعه ربه بالتخفيف فنزلت فيكون المحسن له قصد المشاكلة لما قالوه وهم تكلموا بغير المعروف طيرة منهم كان غير المعروف من اللفظ مما يتشام به من الفأل الردىء أو انهم لما قصدوا السخرية حسن استعمال اللفظ وقد قالوا يحسن استعمال الالفاظ الغريبة ونحوها في الهجاء فلا يبعد أن يكون في السخرية كذلك والحق انه بعد ثبوت وروده لا يحتاج الى تكلف محسن له والظاهر أن المراد بالرب هو الله عز وجل وفي التفسير عنه بعنوان الربوبية وضافته الى ضميره صلى الله تعالى عليه وسلم من اللطف ما لا يخفى فكانه قيل ما تركك المتكفل بمصلحتك والمبلغ لك على سبيل التدرج كما لك اللائق بك (وما قل) أى وما أبغضك وحذف المفعول لثلاثا يواجه عليه الصلاة والسلام بنسبة القلى وان كانت في كلام منى لطفابه صلى الله تعالى عليه وسلم وشفقة عليه عليه الصلاة والسلام أو لثنى صدوره عنه عز وجل بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم ولاحد من أصحابه ومن أحبه صلى الله تعالى عليه وسلم الى يوم القيامة أو للاستغناء عنه بذكره من قبل مع أن فيه مراعاة للفواصل واللغة المشهورة في مضارع قلى يقلى كبرى وطيه تقول يقل بفتح العين كيرضى وتفسير القلى بالبعض شائع وفي القاموس من الواوى قلا زيدا قلا وقلاه أبغضه ومن الياى قلاه كرماء ورضيه قلى وقلاه ومقلية أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركة أو قلاه في الهجر وقليه في البغض وفي مفردات الراغب القلى شدة البغض يقال قلاه يقلوه ويقليه فن جملة من الواوى فهو من القلو أى الرمى من قولهم قلت الناقة براكها قلوها وقلوت بالقلة فكان القلو هو الذى يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله ومن جملة من الياى فن قلبت البسر والسويق على المقلاة انتهى وبينهما مخالفة لا تخفى وعلى اعتبار شدة البغض فالظاهر ان ذلك في الآية ليس الا لانه الواقع في كلامهم قال المفسرون أبطأ جبريل عليه السلام على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال المشركون قد قلاه ربه وودعه فانزل الله تعالى ذلك وأخرج الحاكم عن زيد ابن أرقم قال لما نزلت نبت يدأبى هب الخ قيل لامرأة أبى هب أم جميل ان محمداً صلى الله تعالى عليه

ونحوها ما دل على أن قائل ذلك خديجة رضى الله تعالى عنها أخرج ابن جرير وابن المنذر عن عروة قال ابطاء جبريل عليه السلام عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فجزع جزعا شديدا فقالت خديجة أرى ربك قد فلاك مما أرى من جزعك فنزلت والضحى والليل الى آخرها والقول بانها رضى الله تعالى عنها أرادت ان هذا الجزع لا ينبغي ان يكون الا من قلى ربك اياك وحاشى اى يفلاك فما هذا الجزع بعيد غاية البعد والمعول ما عليه الجمهور وصحت به الاخبار ان القائل هم المشركون وانه عليه الصلاة والسلام انما أحزنه بمقتضى الطبيعة البشرية تعبيرهم وعدم رؤية جبريل عليه السلام مع مزيد حبه اياه وفي بعض الآثار انه صلى الله تعالى عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ما جئتنى حتى اشتقت اليك فقال جبريل عليه السلام كنت أنا اليك اشوق ولكنى عبد مأمور وتلا وما تنزل الا بأمر ربك وفي رواية انه عاتبه عليهما الصلاة والسلام فقال أما علمت انا لاندخل بيتا فيه كلب ولا صورة دراوى هذا يروى ان السبب في ابطاء الوحي وجود جبرو في بيته عليه الصلاة والسلام والروايات في ذلك مختلفة وجوز بعضهم أن يكون الابطاء لتجمع الاسباب ثم أنه قد زعم بعض بناء على بعض الروايات السابقة جواز أن يكون المراد بربك في ما وعدك ربك دون ما بعد صاحبك والمراد به جبريل عليه السلام وهو كما ترى وحيث تضمن ما سبق من نفي التوديع والقلى انه عز وجل لا يزال يواصله عليه الصلاة والسلام بالوحي والكرامة في الدنيا بشر صلى الله تعالى عليه وسلم بان ما سيؤتاه في الآخرة أجسل وأعظم من ذلك فقيل (وَلِلْآخِرَةِ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى) لما انها باقية صافية عن الشوائب على الاطلاق وهذه فانية مشوبة بالمضار وما أوتى عليه الصلاة والسلام من شرف النبوة وان كان مما لا يعادله شرف ولا يدانيه فضل لكنه لا يدخل في الدنيا عن بعض العوارض القادحة في تمشية الاحكام مع أنه عند ما أعد له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من السبق والتقدم على كافة الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يوم الجمع يوم يقوم الناس لرب العالمين وكون أمته صلى الله تعالى عليه وسلم شهداء على سائر الامم ورفع درجات المؤمنين واعلاء مراتبهم بشفاعته صلى الله تعالى عليه وسلم وغير ذلك من الكرامات السنية التي لا تحيط بها العبارات ونقصر دونها الاشارات بمنزلة بعض المبادئ بالنسبة الى المطالب كذا في الارشاد والاختصاص الذي تقتضيه اللام قيل اضافى على معنى اختصاصه عليه الصلاة والسلام بخيرية الآخرة دون من آذاه وشمته بتأخير الوحي عنه صلى الله تعالى عليه وسلم ولا مانع من عمومه لجميع الفائزين كيف وقد علم بالضرورة ان الحبر المعد له عليه الصلاة والسلام خير من المعد لغيره على الاطلاق ويكفى في ذلك اختصاص المقام المحمود به صلى الله تعالى عليه وسلم على ان اختصاص اللام ليس قصر يا كما قرر في موضه وحمل الآخرة على الدار الآخرة المقابلة للدنيا والاولى على الدار الاولى وهي الدنيا هو الظاهر المروى عن أبى اسحق وغيره وقال ابن عطية وجماعة يحتمل ان يراد بهما نهاية أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وبدايته فاللام فيهما للمهد أو عوض عن المضاف اليه أى لنهاية أمرك خير من بدايته لاتزال تتزايد قوة وتتصاعد رفعة وفي بعض الاخبار المرفوعة ما هو أظهر في الاول أخرج الطبرانى في الاوسط واليهيقي في الدلائل عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من سبى ما هو مفتوح لامتى بعدى فسرنى فانزل الله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى ثم ان ربط الاية بما قبلها على الوجه الذى سمعت هو ما اختاره غير واحد من الاجلة وجوز أن يقال فيه انه لما نزل ما ودعك ربك وما قلى حصل له عليه الصلاة والسلام به تشریف عظيم فكأنه صلى الله تعالى عليه وسلم استعظم ذلك فقيل له وللآخرة خير لك من الاولى على معنى ان هذا التشریف وان كان عظيما الا ان مالك عند الله تعالى في الآخرة خير وأعظم

وجوز أيضاً أن يكون المعنى أن انقطاع الوحي لا يجوز أن يكون لما يتوهمون لأنه عزل عن النبوة وهو مستحيل في الحكمة بل أقصى ما في الباب أن يكون ذلك لأنه حصل الاستثناء عن الرسالة وذلك اشارة الموت فكانه تعالى قال انقطاع الوحي متى حصل دل على الموت لكن الموت خير لك فان مالك عند الله تعالى في الآخرة أفضل مما لك في الدنيا وهذا كما ترى دون ما قبله بكثير والمتبادر عما قرروه ان الجملة مستأنفة واللام فيها ابتدائية وقد صرح جمع بانها كذلك في قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ وقالوا فائدتها تأكيد مضمون الجملة وبعدها مبتدأ محذوف أى ولانت سوف يعطيك الخ وأورد عليه أن التأكيد يقتضى الاعتناء والحذف ينافيه ولذا قال ابن الحاجب ان المبتدأ المؤكد باللام لا يحذف وان اللام مع المبتدأ كقدم مع الفعل وان مع الاسم فكما لا يحذف الفعل والاسم ويبقيان بعد حذفهما كذلك لا يحذف المبتدأ وتبقى اللام وانه يلزم التقدير والاصل عدمه وان اللام لتخلص المضارع الذى في حيزها للحال كذا كيد مضمون الجملة وهو هنا مقرون بحرف التنفيس والتأخير فيلزم التنافي ورد بان المؤكد الجملة لا المبتدأ وحده حتى ينافي تأكيد حذفه وكلام ابن الحاجب ليس حجة على الفارسي وأمثاله وان يحذف معها الاسم كثيراً كما ذكره النحاة وكذا قد يحذف بعدها الفعل كقوله

أزف الترحل غر أن ركابنا بم لما نزل برحالتنا وكان قد

مع أنه لو سلم فقد يفرق كما قال الطيبي بين أن وقد وهذه اللام بانها يؤثران في المدخول عليه مع التأكيد بخلاف هذه اللام فان مقتضاها ان تؤكد مضمون الجملة لا غير وهو باق وان حذف المبتدأ فالقياس قياس مع الفارق والنحويون يقدرون كثيراً في الكلام كما قدروا المبتدأ في نحو قت واسك عينه وهو لاجل الصناعة دون المعنى كما فيما نحن فيه واللام المؤكدة لانسلم انها لتخلص المضارع للحال أيضاً بل هي لاطلق التأكيد فقط ويهمل معها الحال بالقرينة لانه أنسب بالتأخير كيد على تسليم انها لتخلص المضارع للحال أيضاً يجوز أن يقال انها تجردت للتأكيد هنا بقرينة ذكر سوف بعدها والمراد تأكيد المؤخر أعنى الاعطاء لا تأكيد التأخير فالعنى ان الاعطاء كائن لا محالة وان تأخر الحكمة وعلى تسليم انها للامرين ولا تجرد يجوز ان يقال نزل المستقبل أعنى الاعطاء الذى يعقبه الرضا لتحقق وقوعه منزلة الواقع الحالى نظير ما قيل في قوله تعالى ان ربك ليحكم بينهم يوم القيامة وقيل يحسن هذا جدا فيما نحن فيه على القول بان الاعطاء قد شرع فيه عند نزول الآية بناء على أحد أوجهها الآتية بعد ان شاء الله تعالى وذهب بعضهم بان اللام الاولى للقسم وكذا هذه اللام وبقسميتها جزم غير واحد فالواو عليه للمطف فكلا الوعين داخل في القسم عليه ويكون الله تعالى قد أقسم على أربعة أشياء اثنان منفيان واثنان مثبتان وهو حسن في نظري واعترض بان لام القسم لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة فلو كانت للقسم لقل لسوف يعطيك ربك ولا يخفى ان هذا أحد مذهبي للنحاة والآخر أنه يستثنى ما قرن بحرف تنفيس كما هنا ففي المعنى انه تجب اللام وتمتع النون فيه كقوله

فوربى لسوف يجزى الذى * اسلف المره سبتاً أو جميلاً

وكذا مع فصل معمول الفعل بين اللام والفعل نحو ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون ومع كون الفعل للحال نحو لا قسم وقد يتمتعان وذلك مع الفعل المنفى نحو تالله فتفتؤ وقد يجبان وذلك فيما بقى نحو تالله لا كيدن أصنامكم وعليه لا يتجه الاعتراض مع ان المنوع بدون النون في جواب القسم لافى المنعطف عليه كما هنا فانه يقتصر في التابع مالا يقتصر في المتبوع وانما ذكرت اللام تأكيداً للقسم وتذكيراً به وبالجملة هذا الوجه أقل دغدغة من الوجه السابق ولا يحتاج فيه الى توجيهه جمع اللام مع سوف اذ لم يقل أحد من

علماء العربية بان اللام القسمية مخلفة المضارع للحال كما لا يخفى على من تتبع كتبهم وظاهر كلام الفاضل الكاتبى ان كلام اللامين موضوع للدلالة على الحال ووجه الجمع على تقدير كونها في الآية قسمية بانها محمولة على معناها الحقيقي وسوف محمولة على تأكيد الحكم ولذا قامت مقام احدى التويزين عند أبى على الفارسي وقد اطل رحمة الله تعالى الكلام فيما يتعلق بهذا المقام وأتى على غزارة فضله بما يستمد صدوره من مثله وقال عصام الدين الاظهر ان جملة ما وردت حالية أى ما وردت بك هذا المقام وأتى على غزارة فضله بما يستمد صدوره من مثله وقال وأنت تختارها عليها ومن حاه كذلك لا يتركه ربه ففيه ارشاد للمؤمنين الى ما هو ملاك قرب العبد الى الرب عز وجل ونوبيخ للمشركين بما هم فيه من التزام أمر الدنيا والاعراض عن الآخرة وحينئذ معنى قوله سبحانه وسوف يعطيك انه سوف يعطيك الآخرة ولا يخفى حينئذ كمال اشتباك الجمل انتهى وفيه ان دخول اللام عليها مع دخوله على الجملة بعدها وسبقهما بالقسم يبعد الحالية جداً وأيضاً المعنى ذكره على تقديرها غير ظاهر من الآية وكان الظاهر عليه عندك بدل لك كما لا يخفى عليك واختلف في قوله تعالى وسوف الخ فقيل هو عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله عز وجل في الدنيا من كمال النفس وعلوم الاولين والآخريين وظهور الامر واعلاء الدين بالفتوح الواقعة في عصره صلى الله تعالى عليه وسلم وفي أيام خلفائه عليه الصلاة والسلام وغيرهم من الملوك الاسلامية وفسح الدعوة والاسلام في مشارق الارض ومغاربها ولما ادخر جيل وعلاء له عليه الصلاة والسلام في الآخرة من الكرامات التي لا يعلمها إلا هو جل جلاله وعم نواله وقيل عدة بما أعطاه سبحانه وتعالى في الدنيا من فتح مكة وغيره والجهود على انه عدة أخروية فاخرج ابن أبى حاتم عن الحسن انه قال هي الشفاعة وروى نحوه عن بعض أهل البيت رضى الله تعالى عنهم أخرج ابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية من طريق حرب بن شريح قال قلت لابي جعفر محمد بن علي بن الحسين على جدكم وعليهم الصلاة والسلام أرايت هذه الشفاعة التي يتحدث بها أهل العراق أحق هي قال أى والله حدثني محمد بن الحنفية عن علي كرم الله تعالى وجهه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال اشفع لامتى حتى ينادى ربى ارضيت يا محمد فاقول نعم يارب رضيت ثم اقبل على فقال انكم تقولون يا مشرأهل العراق ان أرحمى آية في كتاب الله تعالى يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا قلت انا لنقول ذلك قال فكنا أهل البيت نقول ان أرحمى آية في كتاب الله تعالى وسوف يعطيك ربك فترضى وقال هي الشفاعة وقيل هي أعم من الشفاعة وغيرها ويرشد اليه ما أخرجه العسكري في المواعظ وابن مردويه وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال دخل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على فاطمة وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من جلد الابل فلما نظر اليها قال يا فاطمة تعجل مرارة الدنيا بنعيم الآخرة غدا فانزل الله تعالى وسوف يعطيك ربك فترضى وقال ابو حيان الادلى العموم لما في الدنيا والآخرة على اختلاف أنواعه والحجر المذكور لو سلم محته لا يابى ذلك نعم عطايا الآخرة أعظم من عطايا الدنيا بكثير فقد روى الحاكم وصححه وجماعة عن ابن عباس انه قال أعطاه الله تعالى في الجنة ألف قصر من لؤلؤ ترابه المسك في كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم وأخرج ابن جرير عنه انه قال في الآية من رضا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ان لا يدخل أحد من أهل بيته النار وأخرج البيهقي في شعب الإيمان عنه انه قال رضا صلى الله تعالى عليه وسلم ان يدخل أمته كلهم الجنة وفي رواية الخطيب في تلخيص المتشابه من وجه آخر عنه لا يرضى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأحد من أمته في النار (١) وهذا ما تقتضيه

(١) ومن هنا قيل لم يرضك الرحمن في سورة الضحى * لحاشاك ان ترضى وفينا معذب ثم اه منه

شفقته العظيمة عليه الصلاة والسلام على أمته فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم حريصا عليهم رؤفا بهم مهتما بأمرهم وقد أخرج مسلم كافي الدر المنثور عن ابن عمر انه صلى الله تعالى عليه وسلم تلا قول الله تعالى في ابراهيم عليه السلام فمن تبعني فإنه مني وقوله تعالى في عيسى ان تعذبهم فاعذبهم عبادك الآية فرفع عليه الصلاة والسلام يديه وقال اللهم امي امي وبكى فقال الله تعالى يا جبريل اذهب الى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوءك وفي اعادة اسم الرب مع اضافته الى ضميره عليه الصلاة والسلام مالا يخفى ايضا من اللطف به صلى الله تعالى عليه وسلم وقوله تعالى (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى) تعديل لما افاض عليه صلى الله تعالى عليه وسلم من اول امره الى وقت النزول من فنون انعماء العظام ليستشهد بالخاص الموجود على المترقب الموعود فيزداد قلبه انشريف وصدرة الرحيب طمأنينة وسرورا والشرحا وحبورا ولذا فصلت الجملة. والهمزة لانكار النبي وتقرير النبي على ابلاغ وجهه كأنه قيل قد وجدك الخ ووجدته على ما قال الرضى بمعنى اصبته على صفة ويراد بالوجود فيه العلم مجازا بعلاقة الزوم وفي مفردات الراغب لوجود اضرب وجود بالحواس الظاهرة ووجود بالقوى الباطنة ووجود بالعقل وما نسب الى الله تعالى من لوجود فبمعنى العلم المجرد اذ كان الله تعالى منزها عن الوصف بالجوارح والآلات وقد فسره بعضهم هنا بالعلم وجعل مفعوله الاول الضمير ومفعوله الثاني يتيما وبعضهم بالمصادفة وجعله متعديا لواحد ويتيما حالا وأنت تعلم ان المصادفة لا تصح في حقه تعالى لانها ملاقاته ما لم يكن في علمه سبحانه وتقديره حل شأنه فلا بد من التجوز بها عن تعلق علمه عز وجل بذلك واليتم انقطاع الصبي عن أبيه قبل بلوغه والايواه ضم الشيء الى آخر يقال آوى اليه فلانا أى ضمه الى نفسه أى ألم يعلمك طفلا لا أبالك فضمك الى من قام بأمرك روى أن عبد المطلب بعث ابنه عبدالله أبا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يترجم من يثرب فتوفي ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم حين قدأنت عليه ستة أشهر فلما وضته كان في حجر جده مع أمه فانت وهو عليه الصلاة والسلام ابن ست سنين والمبلغ عليه الصلاة والسلام ثمانى سنين مات جده فكفله عمه الشقيق الشقيق أبو طالب بوصية من أبيه عبد المطلب وأحسن تربيته صلى الله تعالى عليه وسلم وفي الكشف ماتت أمه عليه الصلاة والسلام وهو ابن ثمانى سنين فكفله عمه وكان شديد الاعتناء بامره الى ان بعثه الله تعالى وكان يرى منه صلى الله تعالى عليه وسلم في صغره ما لم ير من صغير روى انه قال يوما لآخيه العباس ألا أخبرك عن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم بما رأيت منه فقال بلى قال انى ضمته الى فكنت لا اطارقه ساعة من ليل ولا نهار ولم اثمن عليه أحدا حتى أنى كنت أنومه في فراشى فامرته ليلة ان يخلع نيسابه وينام معى فرأيت الكراهية في وجهه وكره ان يخالفنى فقال يا عمه اصرف وجهك عنى حتى أخلع نيسابى انى لأحب ان تنظر الى جسدى فتمجبت من قوله وصرفت بصرى حتى دخل الفراش فلما دخلت معه الفراش اذا ببني وبينه ثوب والله ما أدخلته في فراشى فاذا هو في غاية الالين وطيب الرائحة كأنه غمس في المسك فجدت لانظر الى جده فساكنت أرى شيئا وكثيرا ما كنت أفقده من فراشى فاذا قت لا طلبه نادانى ها أنا يا عم فارجع وكنت كثيرا ما أسمع منه كلاما يعجبني وذلك عند ماضى بعض الليل وكنا لانسمى على الطعام والشراب ولا نحمد وكان يقول في أول الطعام بسم الله الاحد فاذا فرغ من طعامه قال الحمد لله فكنت اعجب منه ولم أر منه كذبة ولا ضحكا ولا جاهلية ولا وقف مع الصبيان وهم يلعبون وهذا لعمري غيض من فيض

في المهدي عرب عن سعادة جده بم أثر النجاة ساطع البرهان

وقيل المعنى ألم يجدك يتيما أبنتك المراضع فأواك من مرضمة تحنو عليك بان رزقها بصحبتك الحسير
والبركة حتى أحبتك وتكلمتك والاول هو الظاهر وقيل غير ذلك مما ستعلمه بعد ان شاء الله تعالى ومن
بدع التفاسير على مقال الزمخشري ان يتيما من قولهم درة يتيمة والمعنى ألم يجدك واحدا في قريش عديم
الظهير فأواك والاولى عليه ان يقال ألم يجدك واحدا عديم الظهير في الخليفة لم يحو مثلك صدف الا مكان
فأواك اليه وجعلك في حق اصطفائه وقرأ أبو الاشعث فأوى ثلاثيا فجوز أن يكون من أواه بمعنى آواه
وان يكون من أوى له أى رحمه ومصدره اياوية (١) وماوية وماوية وتحقيقه على ما قال الراغب أى رجع
اليه بقلبه ومنه قوله لا أواني ولا كفران لله أية من وقوله تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى) عطف
على ما يقتضيه الانكار السابق كما أشير اليه أو على المضارع المنفي لم داخل في حكمه كأنه قيل أم اوجدك يتيما فأوى
ووحدك غافلا عن الشرائع التي لا تهدي اليها العقول كما في قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب وقوله سبحانه وان
كنت من قبله لمن الغافلين فهذا الى مناهجها في تضاعيف ما أوحى اليك من الكتاب المدين وعلمك ما لم تكن تعلم وعلى
هذا كما قال الواحدى أكثر المفسرين وهو اختيار الزجاج وروى سعيد بن المسيب أنه صلى الله تعالى عليه
وسلم سافر مع عمه أبى طالب الى الشام فبينما هو راكب ناقه ذات ليلة ظلماء وهو نائم جاءه ابليس فأخذ
بزمم الناقه فعدل به عن الطريق فجاءه جبريل عليه الصلاة والسلام فنفض ابليس نفخة وقع منها بالحبيشة
ورده الى القافلة فإى الآية اشارة الى ذلك على ما قيل وقيل اشارة الى ما روى عن ابن عباس من انه
صلى الله تعالى عليه وسلم ضل وهو صغير عن جده في شهاب مكة فرآه أبو جهل منصرفا من أغنامه فرده
لجده وهو متعلق باستار الكعبة يتضرع الى الله تعالى في أن يرد اليه محمدا وذكر له أنه لما رآه أناخ الناقه
وأركبه من خلفه فابت أن تقوم فاركبه أمامه فقامت فكانت الناقه تقول بأحق هو الامام فكيف يقوم
خلف المقتدى وفي ارجاعه عليه الصلاة والسلام الى أهله على يد أبى جهل وقد علم سبحانه منه انه فرعونه
يشبه ارجاع موسى عليه السلام الى أمه على يد فرعون وقيل ضل عليه الصلاة والسلام مرة أخرى وطلبوه فلم
يجدوه فطاف عبدالمطلب بالكعبة سبما وتضرع الى الله تعالى فسمعوا مناديا ينادى من السماء يا مبعوث الناس لا تضرعوا
فان لمحمدربا لا يخذله ولا يضيعه وان محمدا بوادى تهامة عند شجرة السمر فسار عبدالمطلب وورقة بن
نوفل فاذا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قائم تحت شجرة يلمب بالاغصان والاوراق وقيل أضلته مرضعته
حليمة عند باب مكة حين فطمته وجاءت به لترده على عبدالمطلب فضلا على هذه الروايات من ضل
في طريقه اذا سلك طريقا غير موصلة لمقصده وضمف حمل الآية على ذلك بان مثله بالنسبة الى ما تقدم لا يعد
من نعم الله تعالى على مثل نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم التي يمتن سبحانه بها عليه وقيل الضال الشجرة
المنفردة في اليبداء ليس حولها شجر والمراد أما وجدك وحدك ليس معك أحد فهدى الناس اليك ولم يتركك
منفردا وقال الجنيد قدس سره أى وجدك متحيرا في بيان الكتاب المنزل عليك فهذاك لبيانه وفيه قرب ما من
الاول وقال بعضهم وجدك غافلا عن قدر نفسك فاطمعتك على عظيم محلك وقيل وجدك ضالا عن معنى المودة
فسفك كاسا من شراب القربة والمودة فهذاك به الى معرفته عز وجل وقال جعفر الصادق رضى الله تعالى عنه
كنت ضالا عن محبتي لك في الازل فننت عليك بمرفقي وهو قريب من سابقه وقال الحريري أى وجدك مترددا
في غوامض معانى الحجة فهذاك لها وهو أيضا كذلك وكل ذلك منزع صوفي ورأى أبو حيان في منامه ان
الكلام على حذف مضاف والمعنى ووجد رهضك ضالا فهدى بك وهو كما ترى في يفتنك وقوله تعالى

(وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى) على نمط سابقه والعائل المفتقر من عال يعيل عيالا وعيالة وعبولا ومعيل افتقر أى وجدك عديم المقتنيات فأغناك بما حصل لك من ربح التجارة وذلك في سفره صلى الله تعالى عليه وسلم مع مبصرة الى الشام وبما وهبته لك خديجة رضى الله تعالى عنها من المال وكانت ذاملا كثير فلما تزوجها عليه الصلاة والسلام وهبته جميعه له صلى الله تعالى عليه وسلم لثلا يقول قائل ما يتقل على سمعه الشريف عليه الصلاة والسلام وبمال أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وكان أيضا ذاملا فأنى به كله رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال عليه الصلاة والسلام ما تركت لسيالك فقال تركت الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم وقيل بما أفاء عليك من الغنائم وفيه ان السورة مكية والغنائم إنما كانت بعد الهجرة وقيل المراد قمعك وأغنى قلبك فان غنى القلب هو الغنى وقد قيل من عدم القناعة لم يفده المال غنى وقيل أغناك به عز وجل عما سواه وهذا الغنى بالافتقار اليه تعالى وفي الحديث اللهم أغنى بالافتقار اليك ولا تقهرنى بالاستغناء عنك وبهذا ألم بعض الشعراء فقال .

ويمعجنى فقري اليك ولم يكن لي معجنى لولا محبتك الفقر

وشاع حديث الفقر غمري وحمل الفقر فيه على هذا المعنى وهو على ما قال ابن حجر باطل موضوع وأشد منه وضما وبطلانا ما يذكره بعض المتصوفة اذا تم الفقر فهو الله سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا وقد خاضوا في بيان المراد به بما لا يدفع بشاعته بل لا يقتضى استقامته وقيل عائلا أى ذا عيال من عال يعول عولا وعيالة كثر عياله ويحتمل المعنيين قول جرير

الله تزل في الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

ولعل الثاني فيه أظهر ورجح الاول في الآية بقراءة ابن مسعود عديما وانه عليه الصلاة والسلام لم يكن ذاعيال في أول أمره صلى الله تعالى عليه وسلم وقرأ البيهقي عيالا كسيد بشد الياء المكسورة هذا وذكر عصام الدين في هذه الآيات انه يحتمل أن يراد باليتيم فاقد المعلم فان الآباء ثلاثة من علمك ومن زوجك ومن ولدك ويناسبه حمل الضلال على الضلال عن العلم وحمل العيال أى على تفسير عائلا بذى عيال على عيال الامة الطالبة منه معرفة مصالح الدين مع احتياجه الى المعرفة فأغناه الله تعالى بالوحي اليه عليه الصلاة والسلام ولا يخفى ما فيه وحذف المفعول في الافعال الثلاثة لظهور المراد مع رعاية الفواصل وقيل ليدل على سعة الكرم والمراد آواك وآوى لك وبك وهداك ولك وبك وأغناك ولك وبك وظاهر الفاء مع تلك الافعال نأبى ذلك وأطال الامام الكلام في الآيات وأتى فيها بفتح وسمين ولولا خشية الملل لذكرنا ما فيه (فأما

اليتيم فلا تقهر) فلا تستدله كما قال ابن سلام وقرئ منه قول مجاهد لا تقهره وقال سفيان لا تظلمه بتضييع ماله وفي معناه ما قيل لا تقهره على ماله ولعل التقييد لمراعاة الخالب والاولى حمل القهر على القلبة والتذليل معا بان يراد به التسلط بما يؤذى أو باستعمال المشترك في معنيه على القول بجوازه وفي مفردات الراغب القهر القلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد منهما وقرأ ابن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي فلا تكهر بالكاف بدل القاف ومعناه على ما في البحر فلا تقهر وفي تهذيب الأزهرى الكهر القهر والكهر عبوس الوجه والكهر الشتم واختار بعضهم هنا أوسطها فالمعنى فلا تعبس في وجهه وهو نهى عن الشتم والقهر على ما سمعت من معناه من باب الاولى وإيما كان في الآية دلالة على الاعتناء بشأن اليتيم وعن ابن مسعود مرفوعا من مسح على رأس يتيم كان له بكل شجرة تمر عليها يده نور يوم القيامة وعن عمر رضى الله تعالى عنه مرفوعا أيضا ان اليتيم اذا بكى اهتز لبيكاه عرش الرحمن: فقول الله تعالى الملائكة ياملنك حتى من ابكى هذا اليتيم

الذي غيب أبوه في التراب فيقول الملائكة أنت أعلم فيقول الله تعالى يا ملائكتي اني أشهدكم ان على من أسكنته وارضاه أن أرضيه يوم القيامة فكان عمر رضى الله تعالى عنه اذا رأى يتيماً مسح رأسه وأعطاه شيئاً ولم يصح في كيفية مسحه شيء والرواية عن ابن عباس في ذلك قد قيل فيها ما قيل وروى عنه صلى الله تعالى عليه وسلم انه قال أنا وكافل اليتيم كهاتين اذا اتى الله عز وجل و اشار بالسبابة والوسطى الى غير ذلك من الاخبار (وأما السائل فلا تنهر) أى فلا تزجره ولكن تفضل عليه بشيء أورده بقول جميل وأريد به عند جمع السائل المستجدي الطالب لشيء من الدنيا وتدل الآية على الاعتناء بشأنه أيضاً وعن ابراهيم ابن آدم نعم القوم السؤال يحملون زادنا الى الآخرة وعن ابراهيم النخعي السائل يريد الآخرة يجيء الى باب أحدكم فيقول أتبعثون الى أهليكم بشيء وشاع حديث للسائل حق وان جاء على فرس وقد قال فيه الامام أحمد كما في تمييز الطيب من الخبيث لا أصل له وأخرجه أبو داود عن الحسين ابن على رضى الله تعالى عنهما موقوفاً وسكت عنه وقال العراقي سنده جيد وتبعه غيره وقال ابن عبد البر انه ليس بالقوى وعول كثير على ما قال الامام أحمد وفي معناه احتمالان كل منهما يؤذن بالاهتمام بأمر السائل وروى من طرق عن عائشة وغيرها لوصدق السائل ما أفصح من رده وهو أيضاً على ما قال ابن المديني لا أصل له وقال ابن عبد البر جمع أسانيد ليست بالقوية نعم أخرج الطبراني في الكبير عن أبي امامة مرفوعاً ما يقرب منه وهو لو لان المساكين يكذبون ما أفصح من ردهم ولم أقف على من تعقبه . ثم النهى على النهى على ما قالوا اذ لم يلح في السؤال فان ألح ولم ينفع الردالين فلا بأس بالزجر وقال أبو الدرداء والحسن وسفيان وغيرهم المراد بالسائل هنا السائل عن العلم والدين لا سائل المال ولعل النهى عن زجره على القول الاول يعلم بالاولى ويشهد للاولوية أنه أنه لا وعيد على ترك أعطاه المستجدي لمن يجسد ما يستجديه بخلاف ترك جواب سائل العلم لمن يعلم ففي الحديث من سئل عن علم فكتمه ألجم بلجام من نار وسيأتي ان شاء الله تعالى ما قيل من ان الظاهر الثانى من القولين (وأما بنعمة ربك فحدث) فان التحدث بها شكرها كما قال عمر بن عبد العزيز والحسن وقتادة والنضيل بن عياض وأخرج البخارى في الأدب وأبو داود والترمذى وحسنه وأبو يعلى وابن حبان والبيهقى والضياء عن جابر بن عبد الله مرفوعاً من أعطى عطاء فوجد فليجزبه فان لم يجد فليثن به فن أتى به فقد شكره ومن كتمه فقد كفره ومن تحلى بما لم يعط كان كلابس ثوبى زور ولذا استحب بعض السلف التحدث بما عمله من الخير اذا لم يرد به الرياء والافتخار وعلم الاقتداء به بل بعض أهل البيت رضى الله تعالى عنهم حمل الآية على ذلك أخرج ابن أبى حاتم عن مقسم قال لقيت الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنهما وأرضاهما فقلت أخبرنى عن قول الله تعالى (وأما بنعمة ربك فحدث) فقال الرجل المؤمن يعمل عملاً صالحاً فيخبر به أهل بيته وأخرج ابن أبى حاتم عنه رضى الله تعالى عنه أنه قال فيها اذا أصبت خيراً فحدث اخوانك والظاهر أن المراد بالنعمة ما أفاضه الله تعالى على نبيه صلى الله تعالى عليه وسلم من فنون النعم التي من جملتها ما تقدم وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد تفسيرها بالنبوة ورووا عنه أيضاً تفسيرها بالقرآن ووافقه في الاول محمد بن اسحق وفي الثانى السكبي وعليهما المراد بالتحدث التبليغ ولا يخفى أن كلا التفسيرين غير مناسب لما قبل وهذه الجمل الثلاث مرتبة على ما قبلها فقيل على الالف والنشر المشوش وحاصل المعنى انك كنت يتيماً وضالاً وعائلاً فأواك وهداك واغناك فهما يكن من شيء فلا تنس نعمة الله تعالى عليك في هذه الثلاث واقتد بالله تعالى فتعطف على اليتيم وترحم على السائل فقد ذقت اليتيم والفقر وقوله تعالى (وأما بنعمة الخ في مقابلة قوله سبحانه وحده ضالاً فهدى لعمومه وشموله لهدايته عليه الصلاة والسلام من

الضلال بتعليم الشرائع وغير ذلك من النعم ولم يراع الترتيب لتقديم حقوق العباد على حقه عز وجل فإنه سبحانه وتعالى غنى عن العالمين وقيل لتقديم التخلية على التحلية أو للترقى أو لمراعاة الفواصل ونظر في كل ذلك وقال الطيبي الظاهر ان المراد بالسائل طالب العلم لا المستجد وعليه لا مانع من كون التفصيل على الترتيب فيقال انه تعالى ذكر أحواله صلى الله تعالى عليه وسلم على وفق الترتيب الخارجى بان يراد هدايته عليه الصلاة والسلام ما يعم توفيقه للنظر الصحيح في صباه فقد كان صلى الله تعالى عليه وسلم موقفاً لذلك ولذا لم يعبد عليه الصلاة والسلام صنماً أو يراد باغناثه ما كان بمد البعثة ثم فصل سبحانه على ذلك الترتيب فجعل عدم قهر اليتيم في مقابلة إيوائه تعالى له عليه الصلاة والسلام في يتمه وعدم زجر السائل طالب العلم والمتعلم منه في مقابلة هدايته له والتحدث بالنعمة في مقابلة الفنى وان كانت النعمة شاملة له وغيره وآثر سبحانه فحدث على خبر قيل ليكون ذكر النعمة منه عليه الصلاة والسلام حديثاً لا ينساها ويوجده ساعة غيب ساعة والله تعالى أعلم ونذب التكبير عند خاتمة هذه السورة الكريمة وكذا ما بعدها الى آخر القرآن العظيم فقد أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقى في الشعب من طريق أبى الحسن البزى المقرئ قال سمعت عكرمة بن سليمان يقول قرأت على اسماعيل بن قسطنطين فلما بلغت والضحي قال كبر عند خاتمة كل سورة حتى تحتم فاني قرأت على عبد الله بن كثير فلما بلغت والضحي قال كبر حتى تحتم وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فامر به بذلك وأخبره ان ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أمره بذلك وأخبره ان أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أمره بذلك وأخبره ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أمره بذلك وكان ذلك منه عليه الصلاة والسلام فرحاً بنزول الوحي بعد تأخره وبطئه حتى قيل ما قيل هذا وعلى ذلك عمل الناس اليوم والحمد لله رب العالمين

سورة ألم لشرح

وتسمى سورة الشرح وهي كإروى عن ابن الزبير وعائشة مكية وأخرج ذلك ابن الضريس والنحاس والبيهقى وابن مردويه عن ابن عباس وفي رواية عنه زيادة نزلت بعد الضحي وزعم البقاعى انها عنده مدنية وفي حديث طويل أخرجه ابن مردويه عن جابر بن عبد الله ما هو ظاهر في ان قوله تعالى فيها قن مع العسر يسراً ان مع العسر يسراً نزل بالمدينة لكن في صحة الحديث توقف وآيها ثمان بالاتفاق وهي شديدة الاتصال بسورة الضحي حتى انه روى عن طاوس وعمر بن عبد العزيز انهما كانا يقولان ها سورة واحدة وكانا يقرآنهما في الركعة الواحدة وما كانا يفصلان بينهما بيسم الله الرحمن الرحيم وعلى ذلك الشيعة كما حكاه الطبرسى منهم قال الامام والذى دعا الى ذلك هو ان قوله تعالى ألم لشرح كالمعطف على قوله تعالى ألم يجدهم يتيماً وليس كذلك لان الاول كان عند اغتمام الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم من ايداء الكفرة وكانت الحالة حال محنة وضيق صدر والثانى يقتضى ان يكون حال النزول منشراح الصدر طيب القلب فأنى يجتمعان وفيه نظر والحق ان مدار مثل ذلك الرواية لا الدارية والمتواتر كونهما سورتين والفصل بينهما بالبسملة نعمهما متصلتان معنى جدا وبدل عليه ما في حديث الاسراء الذى أخرجه ابن أبى حاتم ان الله تعالى قال له عليه الصلاة والسلام يا محمد ألم أجدهم يتيماً فأويت وضالاً فهديت وعائلاً فاغنيت وشرحت لك صدرك وحططت عنك وزرك ورفعتم لك ذكرك فلا أذكر الا ذكرت معى الحديث

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ) الشرح في الاصل الفسح والتوسعة وشاع استعماله